



على هامس كتابين :-

١ - مع الناس

تأليف الأستاذ محمد علي الحوراني

الأستاذ الحوراني أديب لبناني جمع إلى أدبه الفياض وشعره الرصين وحديثه الطال ، سرعة الخاطر ودقة التعبير وسلامة الأسلوب ، وهو عربي يمتاز بروبته ووطنيته . بدأ حياته مجاهداً ضد الاستعمار الفرنسي - وهو ما يزال في مستقبل العمر وفي فجر الحياة ، غص الإهاب لين التود - فأحيل إلى المجلس التأديبي ، ولكنه لم يستخذ ولم يستسلم ، فخر إلى شرق الأردن حيث أخرج ديوان الحوراني (سنة ١٩٢٦) ، وديوان نقد الناس والسوس (سنة ١٩٢٨) .

ومنذ ذلك الحين اضطرت به نوازح الحياة ودوافع السياسة ، فأخذ يفتل بين وطنه (الشرق العربي كله) وبين المهجرين الأمريكي والأفريقي . وكان في كل بلد يصل حبله بقيادة الرأي وزعماء السياسة وأهل الفكر يبادلم الحديث ويناقشهم المناظرة ، وتفجر الحديث - في هذه المجالس - فتوتاً ، وتنبؤ من أبحاث قيمة ناشجة في الأدب والعلم والسياسة والاجتماع والفن . فهو - من ناحية - يتحدث عن الموسيقى حديثاً عبقرياً فيقول : « الموسيقى هي واحد من هذه الأشياء التي لا تستطيع التعبير عنها بأكثر من أنها لغة تخاطب الروح مباشرة دون مآزر من إشارة أو تصوير . أما الموسيقى ، الموسيقى البقرية ، فإن الروح تتناولها من يد العازف على رنة الموتر دون ما جهد أو إهانات ، وتلبل هذه الهزة الروحية التي يتأثر بها السامع وهو يصغي إلى تومج الفنان يكاد يمجز بيان الفكر الحاذق » . وهو - من ناحية أخرى - يتحدث عن الدين : « فالروية في أي زمن تستهدف للزوال إذا لم يعضدها الدين ... »

هذه المجالس ، وهذه الأحاديث ، عمل سخن جليل لا يجب إن قام به المؤلف ، وهو صاحب مجلة (العربية) اللبنانية . ولقد ضمنها كتاب « مع الناس » ، وهو كتاب فيه ألف فكرة لألف رجل ، والمؤلف فكرة واحدة هي إيمانه بقول سيد العرب (ص) : « لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها » . وهو دائرة معارف عربية يستطيع المرء أن يرى من خلالها الدغل العربي وهو يضطرم في الشرق والغرب معاً ، وأن يبيس حيناً بين أهل الرأي وصادة الفكر من العرب بحس نبضات قلوبهم وخلجات أفكارهم ونوازح أنفسهم ، فيلس - من قريب - آراءهم وخواطرهم ، ويشرف على آمالهم وأمانتهم وإن التاري ليجد خواطر المؤلف منبثة بين أضاف الكتاب في سطور متناثرة هنا وهناك ، يستطيع الأديب الدقيق أن يضم أختها بمعنى إلى بعض لتصبح مبدأ يقول بأن الأمة توشك أن تنهار إن هي لم تنسك بيهدها بثلاثة أشياء متسادة مترابطة هي : اللثة والأخلاق والدين . فهو يقرن بأن « اللثة قبل كل شيء » ، لأنها المنصر التي يقوم به أجداد الأمة ، فلينا أن ندلم الولد كرامة أمته ومجدها في الكليات العربية ليرأها ويشمرأه يشرف على مجده وعزته التومية من خلال الحروف والكلمات . وهو يؤمن بأن « الثورة التي تقوم في العالم على أساس الأخلاق ، إنما تمهد للإنسانية فتتم وتصل إلى مستوى اللكوت . أما الثورة من أجل السياسة ، أو العصية للمنصر أو الوطن ، فإنها هي مدعاة للتناحر لا تنفك تفتك في البشرية حتى تصل بها إلى القهقري نحن فيه : علم يصعد إلى السماء لينحل قنار تنفجر أو مدافع تدمر فتعود بنا إلى دور الوحشية التي نمسنا الحاجة فيه إلى أمثال موسى وعيسى ومحمد ... » وهو يعتقد بأن « الشعب للدين ليس مقية تصدم الإنسان في نهوضه إلى الحياة الحرة كما يتوهم من لا يفقه الدين ، فإننا نرى اليهود في العالم كله يصمبون لدينهم ، ورام مسودين من جميع العالم ، والعالم مسخر لهم ، وهم بضمة هترمليون . فلونصب للصلون فدينهم نصب اليهود - ودينهم مدني فوق كل دين - لكانوا الل الأمل على هذه الأرض ... » وهكذا يرى للمؤلف أن اللثة والأخلاق والدين هي اللسمد الثابتة المتينة التي يجب أن تكون أساساً لرق الأمة وسموها ...

وحبذا لو أخذنا بهذا الرأي ، حبذا ...

وإن الكاتب ليحس صعوبة شديدة في الكتابة من هذا السفر لما فيه من آراء متفرقة وأبحاث متشعبة ، بقدر ما يلبس القارى في قراءته من لغة ومثمة . وإن لا أجد ما أقدم به هذا للكاتب إلى قراء العربية سوى أن أقول : إنه دائرة معارف تسمى بقيمتها وروايتها .

٢ - اصطلاحات عربية لفن التصوير

تأليف الدكتور بشر فارس

هذا « مبحث ألقى في المجمع العلمي المصري في جلسة علمية في السابع عشر من شهر مايو سنة ١٩٤٨ » ، وهو يجمع بمحتوى على اصطلاحات فرنسية في فن التصوير عدتها تسعة وثلاثون ومائة جمعها الدكتور بشر ورتبها على حروف المجمع الألفبائي وترجمها هو ، فصارت مرجعاً قيمياً للباحث والكاتب والقرّاء ، ثم أخذ يوضح مدلولات الألفاظ العربية المقابلة للتعبير الفرنسي « وقصر الكلام هنا على الكلمات التي هي من ثمرة بحثه وعدتها خمس ومائة » .

وخشى المؤلف أن يثر المطلع في مجمله على لفظه خشية ، أو اصطلاح جاف ، فاستدرك يقول : « وزأني في أثناء النقل أتقرب ما استطمت من اللغة الجارية عندنا لهذا الزمن ، متلفئاً إليها ، أو مستشهداً ، خشية أن تسع الفجوة بين الورق السائد واللفظ المستنبط نيموت وليداً » .

ولقد كتب الدكتور بشر تصديراً لهذا البحث جاء فيه : « هل أن أحداً لا يشك في أن لغتنا الكريمة وإن زخرت بالألفاظ وعلت بالتعبيرات لتقصر اليوم من الأداء الأفرنجي في صنوف الفنون والصناعات . وكأن بك ترى اضطراباً واختلافاً في أكثر ما يقع عليه بصرك . لذلك بدا لي أن أهيئ طائفة من الاصطلاحات النائرة في باب التصوير وما يجري مجراه ، حتى أن تستقيم أداة التأليف ، وتندفع آلة النقل ... »

هنا هو رأي الدكتور في اللغة العربية ، فهو يراها قاصرة عن الأداء الأفرنجي في صنوف الفنون والصناعات ، وأخيراً أراقة في ما ذهب إليه ، فإن لغتنا الكريمة لم تضق يوماً بلوم اليونان حين بدأت النهضة العلمية الإسلامية ، وحين ازدادت نشاطاً وقوة في العصر السياسي ، فراح العرب — إذ ذاك — ينقلون علوم الفلسفة والطب والفلك والرياضيات ، فنقلوا — في سنوات — مئات من أمهات الكتب في الفنون المختلفة . ولم تستجز من أن تقتحم باب العلوم الرياضية حين نقل « محمد بن موسى الخوارزمي » أرقام الحساب عن الهنود وأدخلها في العربية ، وحين وضع « الصفر الحسابي » فحل بذلك أكبر معضلة رياضية في العالم ، وحين وضع جداول اللوغاريتمات وهي ما تزال تحمل اسمه حتى اليوم فهو يعرف هندسة الفرنجة باسم Algorithmi . ولم تقصر عن أبحاث الميكانيكا والإيدروساتيكيا بين يدي « أبي الريحان البيروني » حين وضع كتابه « الآثار الباقية » . ولم توضع أمام أبحاث « الحسن بن المهيم » في الضئط الجوي — وهو قد سبق في ذلك البحث نورشيللي بخمسة قرون أو أكثر — ولا في البصريات . وإن أبحاث ابن المهيم التي استغرقت نيفاً وستين كتاباً كلها في العلوم التعليلية (الطبيعية) ما تزال مرجعاً يهتدى بنور علماء الغرب للآن .

هذه اللغة التي وسمت كل هذه الأبحاث ، وهي أسس النهضة العلمية في أوربا ، ووسمت غيرها مما يضيئ عن سرده هذا المقام ، لا إخالها تقصر عن الأداء الأفرنجي في صنوف والصناعات . على أنني ما زلت أعجب أن يقول الدكتور بشر بذلك وهو نفسه قد استعان باللغة العربية — في مجمله — في التعبير عن الألفاظ اللاتينية المقابلة . ولو أنها هجرت عن هذا الأداء لما أمده بهذه الاصطلاحات .

ومها يكن من خلاف بين رأي المؤلف ورأي فإنه لا يسمي إلا أن اعترف بأنه قد بذل جهداً عظيماً مشكوراً في تصنيف هذا المعجم

طامل محمود ميب